

ثقافة الاعتذار الغائبة
عن المؤسسات الدينية

على عبدالرازق من عمله، وإخراجه من «زمره العلماء» أن كتابه «الإسلام وأصول الحكم» تضمن «من الأمور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية وإجماع الأمة».

قضاة آزهريون حاكموا زميلا اجتهده، وعاقبوه عقابا «دينيا» لقوله إن «الخلافة» ليست من أصول الدين، بل «نكبة على الإسلام والمسلمين»، وينبوع شر وفساد، منذ صارت ملكا على أيدي الأمويين. وفي عام 1945 قضت لجنة من الأزهر بان الكتاب لا يتعارض مع الدين، وعين المؤلف وزيرا للأوقاف عام 1948. ولم يكن المنصب الوزاري كافيا لمنح الأمان للشخص، ولازمه الأمل، حتى أنه أجاب عن سؤال يخص إعادة نشر الكتاب، عام 1966، بقوله لعماد أمين العالم «اطبعوا الكتاب كما تشاؤون، لكن دون استئذاني. اطبعوه على مسؤوليتكم، ولا تطلبوا مني إنذا بغير ضمان أكيد أطمئن إليه». وتوفي في سبتمبر 1966، ولم ين كتابه مطبوعا.

إرادة الإصلاح قلما تمتكها مؤسسات تستمد شرعيتها من صيانة موروثاتها وثوابتها. لهذه القاعدة استثناءات تؤكد في الأزهر، وقد تخرج فيه من رموز الاستنارة رفاعة الطهطاوي وقبله أسناده حسن العطار، وبعده محمد عبده ومصطفى عبدالرازق وعبدالمعطي الصعيدي ومحمد عبدالله تران، أعلام تتفاداهم الأضواء، وتتجاهل اجتهاداتهم. وفي الحجاز تضمنت الموسوعة الفقهية المشهورة بالدرر السنية أن «هذا الدين، الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب... هو الحق، الذي لا شك فيه، ولا ريب، وأن ما وقع في مكة، والمدينة، سابقا، ومصر، والشام، وغيرهما من البلاد، إلى الآن، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب، أنه: الكفر، المبيح للدم، والمال، والموجب للخلود في النار».

فتوى موسوعة الدرر السنية وقها علماء مكة، وأولهم مفتي مكة طوال 37 عاما خلال الدولة السعودية الأولى (1744 - 1818) عبد الملك بن عبد المنعم القلعي الحنفي، بمؤانسة مفتي الشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم. ولو ردوا الآن ما وسعهم إلا الصمت، وإقرار ما يزعج الله بالسلطان ما لم يزعج بالقرآن، إذ تغير وجه المملكة، وفي مارس 2018 نسبت صحيفة واشنطن بوست «إلى ولي العهد محمد بن سلمان أن انتشار الفكر الوهابي في بلاده يعود إلى الحرب الباردة، عندما طلبت دول حليفة من السعودية استخدام أموالها لمنع تقدم الاتحاد السوفييتي في دول العالم الإسلامي»، وأن الحكومات المتعاقبة «فقدت المسار، والآن نريد العودة إلى الطريق».

فهل تمتلك المؤسسات الدينية شجاعة الاعتذار؟

دليل عافية المؤسسات السياسية والدينية، لم يشجب الفاتيكاني فيلم «البايون» (2019). ولم تتزلزل السلطة الفلبينية بإنتاج فيلمي «ما روزا» (2016) و«الفا: الحق في القتل» (2018)، وكلاهما عن فساد الشرطة وتواطؤ البعض من أفرادها مع تجار المخدرات.

ولم تتذمر المؤسسة العسكرية المكسيكية من إنتاج فيلم «ترتيب جديد» (2020) (New order)، ويتناول فشل الجيش في التعامل مع تمرد الفقراء. ونالت الأفلام الثلاثة الأخيرة جوائز بمهرجانات كبرى، وعرضها مهرجان القاهرة السينمائي في سنوات إنتاجها. ويحتل العالم الحر قسوة الاتهام، أما الرقابة المصرية فترفض عرض فيلم «آخر أيام المدينة»، وأحداته عام 2009؛ لوجود هتاف «يسقط حكم العسكر».

في الجدل الحالي بين مؤسسة الأزهر والحكومة المصرية صراع مكتوم، عنوانه تنظيم الفتوى واحتكارها، أما المسكوت عنه فهو الاستحواذ على أداة تضمن بقاء الشعب في بيت الطاعة

يستقوي الاستبداد العسكري بالسلاح، ويتسلح الاستبداد الديني بالأفكار. ويتصارع طرفان من النوع الأخير، فيدعي كل طرف أن الله معه، وليس فقه المراجعات جديدا، وقد سبقت إليه الكنيسة فأعادت الاعتبار إلى ضحاياها، وكان على المؤسسات الدينية الإسلامية أن تستفيد من حرق المراحل. بشر جوردانو برونو (1548 - 1600) بالحرية، نافيا أن يكون لأي مؤسسة حق في أن تحدد للناس كيف يفكرون، فاتهم بالهرطقة، ولم يجعله السجن يتخلل عن إيمانه، وقضى الكهنة بحرقة، فخاطبهم «لعلكم أنها القضاة، وأنتم تحكمون بهذا الحكم، تحسون من الفزع والرعب أكثر مما أحس أنا عند سماعي له». وبعد 300 سنة بكاه البابا، وأقيم تمثاله في مكان استشهاده.

إصرار مؤسسة دينية على مواقفها الموروثة سلوك فوق بشري. لا يتلقى الوحي إلا نبي، فيرشده إلى الصواب إذا اتخذ موقفا يحتاج إلى تعديل، وفي القرآن الكريم آيات منها كيفية التعامل مع الأسرى، بالخلافة لإجتهاد بشري قبل نزول آية «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض». والذين حاكموا المجتهدين لم يزعمو أنهم تلقوا الوحي، وإن قضاوا بما يفيد ذلك، وجاءت الأحكام قاسية.

ففي دبيباة حكم هيئة كبار العلماء، عام 1925، بفصل الشيخ

سعد القرش
روائي مصري

إلى حد كبير، تفقد الثقافة العربية فضيلة الاعتذار، وهو ليس انتقاصا من كبرياء شخص أو هيبه مؤسسة، ولكنه يعزّز الثقة بالذات، والقدرة على المراجعة، وإعلاء قيمة القلق، والسير في دروب شكوك ربما تؤدي إلى يقين. ويرى ضحايا جنون العظمة أنهم فوق البشر؛ فيتعلمون على الاعتذار. والعسكريون تحديدا لا يعترفون بخطاياهم، وبعضها كارثي ذو طبيعة كونية، فلم يأسف هتلر على جرائمه في حق الإنسانية، وتلاه عسكريون أقل شأنا أقتلوا من العقاب، أو انتهوا نهايات مأساوية، ولم يفكروا في الاعتذار إلى شعوبهم. راجع حالات بينوشيه، حسني مبارك، القذافي، علي عبدالله صالح.

فهل تعتذر المؤسسات الدينية عن اجتهادات لا يسأل عنها هذا الجيل؛ جاءت الأديان هداية سماوية. تعلى من كرامة الإنسان، بتحريه من العبودية إلا لله. ثم احتكرتها مؤسسات بشرية أعاد بعضها إنتاج سياسات سابقة على الدين نفسه، ولا يسيء إلى الدين إلا رجال بمتجونه، ويرون أنفسهم لا ينطقون عن الهوى. والحروب الصليبية أطلق شرارتها البابا أوربان الثاني في فرنسا عام 1095 ميلادي، فاشتعلت في العام التالي، واستمرت حتى عام 1292. وكلما آزاد أحدهم توسع سياساته لجا إلى الدين، وتجلّى ذلك في إصرار الرئيس الأميركي السابق جورج بوش على غزو العراق عام 2003، بدعوى أنها حرب صليبية جديدة. وقد أصبح النباهي بالغرزا، واستعراض «الفتوحات»، ذكرى تنتمي إلى الماضي. وربما أن الألوان لانسنة المؤسسات الدينية في الجدل الحالي بين مؤسسة الأزهر والحكومة المصرية صراع مكتوم، عنوانه تنظيم الفتوى واحتكارها، أما المسكوت عنه فهو الاستحواذ على أداة تضمن بقاء الشعب في بيت الطاعة، فليست الفتوى في شؤون العبادات والمعاملات والمواثيق من مهام حكومة تفشل في ملفات أبرزها التعليم والرعاية الصحية.

ولعل رجلا رشيدا يعلن للناس أن الدين الأسبق من الحكومات قد اكتمل قبل مؤسساته التاريخية (جامع الزيتونة، الأزهر، دور للإفتاء في العالم الإسلامي). وقد صخ إسلام المسلمين قبل جمع الأحاديث النبوية وتحقيقتها وتصنيفها ودراستها. ويسعى من يكون الدين مهنته إلى تعظيم دوره، وربما استكبر فلا يتراجع عن اجتهاد ولو كان يخص جيلا سابقا حكمته حدود إدراكه.

واعتبر المجلس في فتواه أن اليوغا تتضمن عناصر كثيرة من العقيدة الهندوسية التي «تد تضيع إيمان المسلمين».

ويشكل الماليزيون من أصول هندية وصينية 90 في المئة من ممارسي اليوغا في ماليزيا. وبينما لا يوجد ما يدل على أن المسلمين الذين يمارسون اليوغا قد تخلوا عن إيمانهم، بيد أن المجلس يخشى أن ممارسة اليوغا يمكن أن تعمل على تآكل الإيمان بالإسلام.

ويبدو أن الجدل برمته فعل شيئا واحدا، وهو أنه زاد الاهتمام بالرياضة في اليوغا، كما أن معلمي اليوغا على قناعة بأن شعبيتها ستتمو أكثر بسبب ظروف الحجر المنزلي التي فرضتها جائحة كورونا.

تحريم اليوغا تطرف
أم تطفل على الرياضة

ملايين المسلمين يمارسون اليوغا دون أن يتخلوا عن إيمانهم



اليوغا تعلمنا علاج ما لا يمكن تحمله

وأدخل تصريح جمعة رياضة اليوغا بشدة في دائرة المحرمات رغم أن خبراء الرياضة والأطباء يؤكدون أن ممارستها يمكن أن تساهم بشكل كبير في محاربة فايروس كورونا، على اعتبار أنها تقوي النظام المناعي للجسم، إضافة إلى العديد من الفوائد الصحية لهذه الرياضة.

مسعود صبري
اليوغا رياضة للسمو بالنفس، لكنها حرام في شريعة الإسلام

وتكمن أهمية تصريح علي جمعة في أنه عضو هيئة كبار العلماء التي تمثل مرجعية عليا للمسلمين، الأمر الذي يشجع الأحزاب الإسلامية والمنظمات الدينية على اعتبار حديث جمعة وثيقة يمكن الاستناد إليها وإثارة للفتنة بشأن تحريم اليوغا وأنواع أخرى من الرياضة. وتجمع الكثير من الفتاوى التي صدرت في دول إسلامية، على مخالفة رياضة اليوغا لتعاليم الشريعة الإسلامية، وسواء اقتنع بها المسلمون أم لا، فإنهم يجدون أنفسهم أحيانا عاجزين عن التصدي لسلطة رجال الدين وقوانين الإسلام الاجتماعي التي تتحول مع الوقت إلى ثوابت دينية من الصعب الاعتراض عليها وتحطيتها.

وكان المجلس الوطني للفتوى في ماليزيا قد أصدر في عام 2008 فتوى حظر بها على المسلمين ممارسة اليوغا.

واعتبر المجلس في فتواه أن اليوغا تتضمن عناصر كثيرة من العقيدة الهندوسية التي «تد تضيع إيمان المسلمين».

ويشكل الماليزيون من أصول هندية وصينية 90 في المئة من ممارسي اليوغا في ماليزيا. وبينما لا يوجد ما يدل على أن المسلمين الذين يمارسون اليوغا قد تخلوا عن إيمانهم، بيد أن المجلس يخشى أن ممارسة اليوغا يمكن أن تعمل على تآكل الإيمان بالإسلام.

ويبدو أن الجدل برمته فعل شيئا واحدا، وهو أنه زاد الاهتمام بالرياضة في اليوغا، كما أن معلمي اليوغا على قناعة بأن شعبيتها ستتمو أكثر بسبب ظروف الحجر المنزلي التي فرضتها جائحة كورونا.

فتاوى غريبة وأخرى متطرفة تحرم ممارسة رياضة اليوغا التي تخترق المجتمعات الإسلامية، لتكسر أعراف الإسلام الاجتماعي، بينما يؤكد خبراء الصحة على أهمية اليوغا كوسيلة لمكافحة التوتر أثناء الحجر المنزلي المفروض بسبب فايروس كورونا، وعلى دورها في تعزيز الصحة الجسدية والنفسية.

يمنية حدي

أصبحت اليوغا مصدر قلق كبير في أوساط الكثير من المسلمين الذين يرغبون في ممارسة هذه الرياضة والاستفادة من فوائدها الصحية والنفسية، لكنهم يخشون أن تعارض هذه الرياضة مع عقيدتهم الإسلامية، بعد أن أحاط بها طوق الفتاوى التي أدرجتها ضمن قائمة الرياضات المحرمة.

ويثار تحريم اليوغا من قبل حلقات دينية متشددة ومغالبة، بينما يؤكد خبراء الصحة على أهمية اليوغا كوسيلة لمكافحة التوتر أثناء الحجر المنزلي المفروض بسبب فايروس كورونا، وعلى دورها في تعزيز الصحة الجسدية والنفسية.

ويزعج بعض رجال الدين أن اليوغا محرمة شرعا لأنها من العقيدة الوثنية الهندوسية التي تشجع على الإثراء بالله، ولذلك لا يجوز للمسلم أن يمارسها مطلقا.

معلمو اليوغا على قناعة بأن شعبية هذه الرياضة ستتمو أكثر بسبب ظروف الحجر المنزلي التي فرضتها جائحة كورونا

ويعترف الباحث المصري في علوم الشريعة، مسعود صبري بأهمية المردود النفسي لرياضة اليوغا بوصفها رياضة لإكفاء الروح والسمو بالنفس، لكنه لا يتربد في تحريمها بالقول «لا يمكن لأحد أن ينكر الأصل لرياضة اليوغا؛ ذلك الأصل الهندي، وأن أول ممارستها لدى الهنود هو نوع من العبادة حسب معتقداتهم، والتي ترجع إلى آلاف السنين، وهذا شيء يخالف عقيدة التوحيد وهو حرام شرعا في شريعة الإسلام».

ويمثل رأي صبري الذي تنتشر دراساته في المواقع الإسلامية التي يدعمها الإخوان المسلمون، مثلا على التطرف في النظر إلى الممارسات الاجتماعية والرياضية، ويصل الحال إلى درجة متقدمة من التطرف عند الإقرار بفائدة رياضة ما مبنية على التامل والإصرار وتحريمها بهدف سياسي.

وينصح الباحث المصري الراغبين في ممارسة اليوغا باداء الصلاة كبدل ديني عن رياضة اليوغا المحرمة، بالقول «إن المردود النفسي لرياضة اليوغا موجود بالفعل في بعض عبادات الإسلام، كالصلاة، ففيها الطمانينة

ويعترف الباحث المصري في علوم الشريعة، مسعود صبري بأهمية المردود النفسي لرياضة اليوغا بوصفها رياضة لإكفاء الروح والسمو بالنفس، لكنه لا يتربد في تحريمها بالقول «لا يمكن لأحد أن ينكر الأصل لرياضة اليوغا؛ ذلك الأصل الهندي، وأن أول ممارستها لدى الهنود هو نوع من العبادة حسب معتقداتهم، والتي ترجع إلى آلاف السنين، وهذا شيء يخالف عقيدة التوحيد وهو حرام شرعا في شريعة الإسلام».

ويمثل رأي صبري الذي تنتشر دراساته في المواقع الإسلامية التي يدعمها الإخوان المسلمون، مثلا على التطرف في النظر إلى الممارسات الاجتماعية والرياضية، ويصل الحال إلى درجة متقدمة من التطرف عند الإقرار بفائدة رياضة ما مبنية على التامل والإصرار وتحريمها بهدف سياسي.

وينصح الباحث المصري الراغبين في ممارسة اليوغا باداء الصلاة كبدل ديني عن رياضة اليوغا المحرمة، بالقول «إن المردود النفسي لرياضة اليوغا موجود بالفعل في بعض عبادات الإسلام، كالصلاة، ففيها الطمانينة



التحجج بالقدس لرفض الاعتذار